

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يَقْدَمُ:

(المُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج ٢]

www.menhag-un.com

مِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ:

فَقَدْ مَرَّ أَنْ مَعَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَمْ تَعْبَأْ قُرَيْشٌ بِادِيِ الْأَمْرِ بِذَلِكَ، وَعَدُّوا دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ كَدَعْوَةِ الْمُتَحَنِّفِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَنْدِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّى عَابَ آلِهَتُهُمْ وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ فَنَاصَبُوهُ الْعَدَاوَةَ، وَاتَّخَذَتْ قُرَيْشٌ أَسَالِيبَ عِدَّةٍ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ، مِنْهَا مَا كَانَ مِنْ مُحَاوَلَةِ الْفُضْلِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَمِّهِ، وَكَانَ نَصِيرُهُ مِنَ الْبَشَرِ؛ يَحُوطُهُ وَيَحْمِيهِ مِنْ طُغْيَانِهِمْ بِوَاجِهَتِهِ وَمَكَانَتِهِ فِي قُرَيْشٍ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى لِأَنَّهُ كَانَ بَاقِيًا عَلَى كُفْرِهِ.

* وَمِنْ أَسَالِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي مُحَارَبَةِ الدَّعْوَةِ:

١ - مَا أَثَارُوهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ مَصْدَرِ الْقُرْآنِ.

فَقَدْ بَثُّوا الدَّعَايَا الْكَاذِبَةَ، وَنَشَرُوا الْإِرَادَاتِ الْوَاهِيَةَ حَوْلَ تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ وَحَوْلَ شَخْصِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَكْثَرُوا مِنْ ذَلِكَ؛ حَتَّى لَا يَبْقَى لِلْعَامَّةِ مَجَالٌ فِي تَدَبُّرِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وَكَانُوا يَقُولُونَ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿[الفرقان: ٥]، وَقَالُوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ

ءَاخِرُونَ ﴿ [الفرقان: ٤]، وَكَانُوا يَقُولُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -فِيمَا بَلَغَنِي- كَثِيرًا مَا يَجْلِسُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ إِلَى مَبِيعَةِ غُلَامٍ نَصْرَانِيٍّ يُقَالُ لَهُ: جَبْرٌ، كَانَ عَبْدًا لِابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا كَثِيرًا مِمَّا يَأْتِي بِهِ إِلَّا جَبْرُ النَّصْرَانِيٍّ، غُلَامُ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]».

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ: أَيِ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ، وَالْإِلْحَادُ: الْمِيلُ عَنِ الْحَقِّ».

- وَمِنْ أَسَالِيهِمْ فِي مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَدَعْوَتِهِ:

٢ - مُعَارَضَةُ الْقُرْآنِ بِأَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ؛ لِإِشْغَالِ النَّاسِ بِهَا عَنْهُ.

فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَكَانَ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ، وَمِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيَنْصِبُ لَهُ الْعَدَاوَةَ، كَانَ قَدِمَ الْحِيرَةَ، وَتَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مُلُوكِ الْفُرسِ، وَأَحَادِيثَ رُسْتَمَ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا فَذَكَرَ فِيهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَحَذَرَ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا وَاللَّهُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، وَمَا حَدِيثُهُ إِلَّا أَسَاطِيرُ

الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا، فَهَلَمَّ إِلَيَّ، فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ
فَارِسَ وَرُسْتَمَ، ثُمَّ يَقُولُ: بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي؟

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «وَهُوَ الَّذِي قَالَ -فِيمَا بَلَغَنِي-: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾»
[الأنعام: ٩٣].

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ
الْحَارِثِ ثَمَانِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قَوْلُ اللَّهِ عز وجل: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا
قَالَكَ أَصْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]، وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِيهِ مِنَ الْأَسَاطِيرِ مِنَ
الْقُرْآنِ. وَنَزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ -قَبَحَهُ اللَّهُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيْدٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ
أَثِيمٍ﴾ ٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
[الجاثية: ٧-٨].

- وَمِنْ أَسَالِيهِمْ فِي مُوَاجَهَةِ وَمُحَارَبَةِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ صلوات الله وسلاماته عليه:

٣- الْإِتِّهَامَاتُ الْبَاطِلَةُ لِصَدِّ النَّاسِ عَنْهُ صلوات الله وسلاماته عليه.

وَمِنْ تِلْكَ الْإِتِّهَامَاتِ.

- أَنَّهُمْ اتَّهَمُوهُ بِالْجُنُونِ؛ وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي
نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، وَقَدْ أَجَابَهُمُ اللَّهُ فِي آيَةِ «الْقَلَمِ»: ﴿مَا
أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، وَحَكَى عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾
[القلم: ٥١].

- اتَّهَمُوهُ بِالسَّحْرِ؛ وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾
وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿[ص: ٤]، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
رُجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

وَقَدْ تَحَيَّرَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فِيمَا يَصِفُ بِهِ الْقُرْآنَ؛ فَعِنْدَمَا أَوْشَكَ دُخُولُ
مَوْسِمِ الْحَجِّ جَمَعَ فَرِيقَهُ مِنْ عَتَاةِ الْمُعَانِدِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ قَدْ
حَضَرَ هَذَا الْمَوْسِمَ، وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدُمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ
صَاحِبِكُمْ هَذَا، فَاجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيَكْذِبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا».

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ اسْتِبْعَادِهِمْ أَنَّهُ كَاهِنٌ أَوْ شَاعِرٌ أَوْ سَاحِرٌ إِلَّا أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى
أَنْ يَقُولُوا لِلنَّاسِ إِنَّهُ سَاحِرٌ؛ لِأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْوَلِيدِ: ﴿ذَرْنِي
وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، ثُمَّ أَخَذُوا يَتَلَقَّوْنَ النَّاسَ يُحَذِّرُونَهُمْ مِنْ أَمْرِ
مُحَمَّدٍ، وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَصُدِّرَ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْتَشَرَ
ذِكْرُهُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا، وَكَانَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ النَّاسِ فِي
الْمَوَاسِمِ؛ وَمَا رُوِيَ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ.

- وَاتَّهَمُوهُ بِالْكَذِبِ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ
كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخِرُونَ﴾ [الفرقان: ٤].

- وَاتَّهَمُوهُ بِالْإِنْيَانِ بِالْأَسَاطِيرِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
اَكْتَتَبَهَا فَهِ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

- وَقَالُوا إِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ بَشَرٍ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَزُ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

- وَاتَّهَمُوا الْمُؤْمِنِينَ بِالزَّلَالَةِ؛ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ [المطففين: ٣٢].

- مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا:

٤ - مُحَاوَلَةٌ تَشْوِيهِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

قَامَ مُشْرِكُو مَكَّةَ بِتَشْوِيهِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ، لِذَلِكَ نَظَّمَتْ قُرَيْشٌ حَرْبًا إِعْلَامِيَّةً ضِدَّهُ لِتَشْوِيهِهِ، قَادَهَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَيْثُ اجْتَمَعَ مَعَ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانَ ذَا سِنٍّ فِيهِمْ، وَقَدْ حَضَرَ مَوْسِمَ الْحَجِّ فَقَالَ لَهُمْ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ، وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدَمُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيَكْذِبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَرُدَّ قَوْلُكُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا».

فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُشَوِّهُوا النَّبِيَّ ﷺ وَدَعْوَتُهُ بِأَنْ يَتَّفِقُوا عَلَى أَنَّهُ سَاحِرٌ؛ مَعَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ عِنْدَمَا أَرْسَلُوا الْوَلِيدَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُجَادِلَ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَنْ يُغْرِيه بِالْمَلِكِ وَالْمَالِ وَالنِّسَاءِ؛ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ يَشْهَدُ لِلْقُرْآنِ بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ الْعَظِيمَةِ: إِنَّ لِقَوْلِهِ لِحَلَاوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَعَذْقٌ وَإِنَّ فَرَعَهُ لَجَنَازَةٌ وَمَا

أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَإِنْ أَقْرَبَ الْقَوْلِ لَأَنْ تَقُولُوا: سَاحِرٌ،
فَقُولُوا: سَاحِرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجَتِهِ
وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ.

وَيَتَّضِحُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْحَرْبَ النَّفْسِيَّةَ الْمُضَادَّةَ لِلرَّسُولِ ﷺ لَمْ تَكُنْ
تُوجَّهْ اِعْتِبَاطًا، وَإِنَّمَا كَانَتْ تُعَدُّ بِإِحْكَامٍ وَدِقَّةٍ بَيْنَ زُعَمَاءِ الْكُفَّارِ، وَحَسَبَ قَوَاعِدَ
مُعَيَّنَةٍ، هِيَ أَسَاسُ الْقَوَاعِدِ الْمَعْمُولِ بِهَا فِي تَخْطِيطِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ فِي الْعَصْرِ
الْحَدِيثِ؛ كَاخْتِيَارِ الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، فَهُمْ يَخْتَارُونَ وَقْتَ تَجَمُّعِ النَّاسِ فِي مَوْسَمِ
الْحَجِّ، وَالِاتِّفَاقِ وَعَدَمِ التَّنَاقُضِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُسُسِ؛ حَتَّى تَكُونَ
حَمَلَتُهُمْ مُنَظَّمَةً، وَبِالتَّالِي يُكُونُ لَهَا تَأْثِيرٌ عَلَى وُفُودِ الْحَجَّاجِ، فَتُؤْتِي ثَمَارَهَا
الْمَرْجُوءَةَ مِنْهَا، وَمَعَ اخْتِيَارِهِمْ لِلزَّمَانِ الْمُنَاسِبِ، فَقَدِ اخْتَارُوا أَيْضًا مَكَانًا مُنَاسِبًا؛
حَتَّى تَصِلَ جَمِيعُ الْوُفُودِ الْقَادِمَةِ إِلَى مَكَّةَ.

وَيَتَّضِحُ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ عَظَمَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَقُوَّتُهُ فِي التَّأْثِيرِ بِالْقُرْآنِ عَلَى
سَامِعِيهِ، فَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ كَبِيرُ قُرَيْشٍ، وَمِنْ أَكْبَرِ سَادَاتِهِمْ، وَمَعَ مَا يَحْصُلُ عَادَةً
لِلْكِبَرَاءِ مِنَ التَّكَبُّرِ وَالتَّعَاطُفِ، فَإِنَّهُ قَدْ تَأَثَّرَ بِالْقُرْآنِ، وَرَقَّ لَهُ، وَاعْتَرَفَ بِعَظَمَتِهِ،
وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ الْوَصْفِ الْبَلِيغِ، وَهُوَ فِي حَالَةِ اسْتِجَابَةٍ لِنِدَاءِ الْعَقْلِ.

وَلَمْ تَسْتَطِعْ تِلْكَ الْحَرْبُ الْإِعْلَامِيَّةُ الْمُنَظَّمَةُ أَنْ تُحَاصِرَ دَعْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، بَلِ اسْتَطَاعَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَخْتَرِقَ حِصَارَ الْأَعْدَاءِ، الَّذِينَ لَمْ يَكْتَفُوا

بِتَنْفِيرِ سَاكِنِي مَكَّةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَشْوِيهِ سُمْعَتِهِ عَنْدهُمْ؛ بَلْ صَارُوا
يَتَلَقَّوْنَ الْوَافِدِينَ إِلَيْهِمْ لِيَسْمَمُوا أَفْكَارَهُمْ، وَلِيَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَمَاعِ
كَلَامِهِ، وَالتَّأَثُّرِ بِدَعْوَتِهِ.

وَمِنْ أَبْرَزِ الْأَمْثِلَةِ عَلَى قُوَّتِهِ فِي التَّأَثُّرِ بِالْكَلِمَةِ الْمُعْبَّرَةِ وَالْأَخْلَاقِ
الْكَرِيمَةِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى اخْتِرَاقِ الْجِدَارِ الْحَدِيدِيِّ الَّذِي حَاوَلَ زُعَمَاءُ مَكَّةَ
ضَرْبَهُ عَلَيْهِ، مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفِهِ مَعَ ضِمَادِ الْأَزْدِيِّ، وَعَمْرٍو بْنِ الطُّفَيْلِ الدَّوْسِيِّ،
وَأَبِي ذَرٍّ، وَعَمْرٍو بْنِ عَبْسَةَ.



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ ضَمَادٍ الْأَزْدِيِّ ﷺ

* ضَمَادُ الْأَزْدِيِّ:

وَفَدَ ضَمَادُ الْأَزْدِيِّ إِلَى مَكَّةَ، وَتَأَثَّرَ بِدَعَاوَى الْمُشْرِكِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مُصَابٌ بِالْجُنُونِ، كَمَا يَتَّهِمُهُ بِذَلِكَ زُعَمَاءُ مَكَّةَ، وَكَانَ ضَمَادٌ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ، وَكَانَ يُعَالِجُ مِنَ الْجُنُونِ، فَلَمَّا سَمِعَ سَفَهَاءَ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَجْنُونٌ؛ فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ.

قَالَ: فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أُرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ؛ فَهَلْ لَكَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ».

فَقَالَ ضَمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسٌ -مَعْنَاهُ: بَلَغَنَ

وَسَطَهُ، أَوْ لُجَّتَهُ، أَوْ قَعْرَهُ الْأَقْصَى-، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى
الْإِسْلَامِ، فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي.

وَعِنْدَمَا قَامَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ سَرَايَا رَسُولِ اللَّهِ تُبْعَثُ،
فَمَرُّوا عَلَى قَوْمِ ضُمَادٍ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ
شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوْهَا؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ
ضُمَادٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ ﷺ

* كَذَلِكَ إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ ﷺ:

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَاءً عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحِّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي».

قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا

النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ
فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي
بِمَكَّةَ» وَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ وَفِيهِ: أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنِ الصَّلَاةِ وَالْوُضُوءِ. وَالْحَدِيثُ
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».



إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

* كَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه:

وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ إِسْلَامَ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ - وَاسْمُهُ جُنْدُبُ بْنُ جَنَادَةَ رضي الله عنه - تَأَخَّرَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ بَعْدَةَ سَنَوَاتٍ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» مِنْ أَنَّهُ رضي الله عنه أَسْلَمَ فِي بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ السَّرِّيَّةِ؛ فَفِيهِ نَظَرٌ.

وَكَانَ رضي الله عنه يَبْحَثُ عَنِ الْحَقِّ، وَقِصَّةُ إِسْلَامِهِ رضي الله عنه أَخْرَجَهَا الشَّيْخَانُ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» مَعَ تَغَايُرٍ بَيْنَهُمَا.

- رَوَايَةُ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ:

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ، أَنَا وَأَخِي أَنِيسُ، وَأَمْنَا، فَقَالَ أَنِيسُ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ، فَاكْفِنِي حَتَّى آتِيكَ..

قَالَ: فَانْطَلَقَ فَرَاثٌ -أَي: أَبْطَأَ عَلَيَّ-، عَلَيَّ، ثُمَّ أَتَانِي، فَقُلْتُ: مَا حَبَسَكَ؟

قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ عَلَيَّ دِينًا.

فَقُلْتُ: مَا يَقُولُ النَّاسُ لَهُ؟

قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّهُ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَكَاهِنٌ -وَكَانَ أَنِيسُ شَاعِرًا-.

فَقَالَ أُتَيْسُ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَّانِ، فَمَا يَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشَّعْرِ، فَوَاللَّهِ مَا يَلْتَمِسُ لِسَانُ أَحَدٍ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: هَلْ أَنْتَ كَافِيٌّ حَتَّى أَنْطَلِقَ فَأَنْظُرَ؟

قَالَ: نَعَمْ، فُكُنْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى حَدَرٍ، فَإِنَّهُمْ قَدْ شَفِنُوا لَهُ -أَيَ أَبْغَضُوهُ-، وَتَجَهَّمُوا لَهُ -أَيَ: لَقَوْهُ بِالْغِلْظَةِ وَالْوَجْهِ الْكَرِيهِ-.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَتَضَعَّفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ -يعني نَظَرْتُ إِلَى أَوْضَعَفِهِمْ، فَسَأَلْتُهُ-، فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي تَدْعُوهُ الصَّابِيَّ؟

فَأَشَارَ إِلَيَّ، وَقَالَ: الصَّابِيُّ، فَمَالَ أَهْلُ الْوَادِي عَلَيَّ بِكُلِّ مَدَرَةٍ -أَيَ الطِّينُ الْمُتَمَاسِكُ-، وَعَظُمَ حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ، كَأَنِّي نُصَبُّ أَحْمَرٌ -النُّصَبُ: بِضْمِ النُّونِ هُوَ الصَّنَمُ، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَنْصُبُونَ الصَّنَمَ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهُ، فَيَحْمَرُّ بِالدِّمِّ، وَيَقْصِدُ رضي الله عنه: أَنَّ مِنْ كَثْرَةِ الدِّمَاءِ الَّتِي سَأَلْتُ مِنْهُ صَارَ كَأَنَّهُ الصَّنَمُ الْمُمْتَلِئُ بِالدِّمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ مَا يُذْبَحُ عِنْدَهُ-، فَاتَيْتُ زَمْزَمَ فَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا، وَغَسَلْتُ عَنِّي الدَّمَ، وَلَقَدْ لَبِثْتُ ثَلَاثِينَ، بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، مَا كَانَ لِي طَعَامٌ سِوَى مَاءِ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنْكَ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سَخْفَةً جُوعٍ.

قَالَ ﷺ: فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةِ قَمَرَاءَ إِضْحِيَّانَ، إِذْ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أَصْمِخَةِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ غَيْرُ امْرَأَتَيْنِ، فَاتَّأ عَلَيَّ، وَهُمَا تَدْعَوَانِ إِسَافَ وَنَائِلَةَ، فَقُلْتُ: أَنْكِحُوا أَحَدَهُمَا الْآخَرَ، فَمَا ثَاَهُمَا ذَلِكَ، فَاتَّأ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: وَهَنْ مِثْلُ الْخَشَبَةِ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَكُنَّ، فَاَنْطَلَقْنَا تُولُولَانِ، وَتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا!

قَالَ: فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ، وَهُمَا هَابِطَانِ مِنَ الْجَبَلِ، فَقَالَا: «مَا لَكُمَا؟».

قَالَتَا: الصَّابِيُّ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا.

قَالَا: «مَا قَالَ لَكُمَا؟».

قَالَتَا: قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْفَمَ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ وَصَاحِبُهُ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ صَلَّى، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَتَيْتُهُ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّنْ أَنْتَ؟».

قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ، فَوَضَعَهَا عَلَى جَبْهَتِهِ.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِّي انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟».

قُلْتُ: كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟».

قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنْكَ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سَخْفَةً جُوعٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَفَعَلَ.

فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، حَتَّى فَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَيْبِ الطَّائِفِ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا، فَلَبِثْتُ مَا لَبِثْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَى أَرْضِ ذَاتِ نَخْلٍ، وَلَا أَحْسِبُهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ؟».

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَخِي أَنَيْسًا، فَقَالَ لِي: مَا صَنَعْتَ؟

قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ.

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، ثُمَّ أَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: فَمَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنِّي أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارٍ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَكَانَ يُؤْمُهُمْ إِيْمَاءُ بْنُ رَخْصَةَ الْغِفَارِيِّ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ.

ثُمَّ قَدِمَتْ قَبِيلَةُ غِفَارٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، وَأُحِدٍ، وَصَادَفَ قُدُومُهُمْ قُدُومَ قَبِيلَةِ أَسْلَمَ، فَلَمَّا أَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمَ سَالَمَهَا اللَّهُ».

هَذِهِ رَوَايَةُ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ وَاللَّفْظُ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ.

- وَأَمَّا رَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ»:

مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ اثْنِي، فَاَنْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ.

فَقَالَ: مَا شَفِيتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَاتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَاضْطَجَعَ فَرَأَاهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ

مِنْهُمَا صَاحِبُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ اخْتَمَلَ قَرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟

[نَالَ أَيِ حَانَ].

فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟

قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُتْمُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ، فَاَنْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي».

هَذِهِ رِوَايَةُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهَاهُنَا أُدِلَّةٌ تَدُلُّ عَلَى تَأَخُّرِ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مِنْهَا: ضِيَاةٌ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قِصَّةَ أَبِي ذَرٍّ وَقَعَتْ بَعْدَ الْمَبْعَثِ بِأَكْثَرِ مِنْ سَتَيْنِ؛ بَحِثُ يَتَهَيَّأُ لِعَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِمُخَاطَبَةِ الْغَرِيبِ وَيُضِيفُهُ، فَإِنَّ الْأَصَحَّ فِي سَنِّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ الْمَبْعَثِ كَانَ عَشْرَ سِنِينَ».

كَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ عَنْهُ: «إِنِّي قَدْ وُجِّهْتُ إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرَبَ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: «فَإِنَّ ذَلِكَ يُشْعِرُ بَأَنَّ وَقُوعَ ذَلِكَ كَانَ قُرْبَ الْهَجْرَةِ».

كَذَلِكَ قَوْلُ أَنَسٍ رَضِيَ عَنْهُ لِأَخِيهِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ عَنْهُ: لَقِيتُ رَجُلًا يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ عَلَى دِينِكَ.

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ لِقَائِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْتَشِرْ أَمْرُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْجَزِيرَةِ إِلَّا بَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ مِنْ بَعْثِهِ ﷺ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَأَخُّرِ إِسْلَامِهِ رَضِيَ عَنْهُ.

رَوَى ابْنُ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رُبْعَ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ قَبْلِي ثَلَاثَةٌ، وَأَنَا الرَّابِعُ، أَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَرَأَيْتُ الْإِسْتِشَارَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقُلْتُ: إِنِّي جُنْدُبٌ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ. هَذَا ضَعِيفٌ كَمَا ذَكَرَ.

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي رُبْعَ الْإِسْلَامِ، لَمْ يُسَلِّمْ قَبْلِي إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ.

وَالْأَدِلَّةُ عَلَى تَأَخُّرِ إِسْلَامِهِ عَنْ ذَلِكَ مَرَّ ذِكْرُهَا.

مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا؛ أَيْ مِنْ فَشَلِ الدَّعَايَةِ الْقُرْشِيَّةِ ضِدَّ النَّبِيِّ ﷺ، وَضِدَّ
الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، حَتَّى إِنْ مَا كَانُوا يَأْتُونَ بِهَا مِنْ دَعَايَاتِهِمْ ضِدَّ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ وَدَعْوَتِهِ، كَانَ يَأْتِي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ بِنَتَائِجٍ إِيْجَابِيَّةٍ لِصَالِحِ الدَّعْوَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ؛ كَإِسْلَامِ هَؤُلَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com

إِسْلَامُ الْحَصِينِ وَالِدِ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

* كَذَلِكَ إِسْلَامُ الْحَصِينِ وَالِدِ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

جَاءَتْ فُرَيْشٌ إِلَى الْحَصِينِ، وَكَانَتْ تُعَظِّمُهُ، فَقَالُوا لَهُ: كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا وَيَسُبُّهُمْ، فَجَاءُوا مَعَهُ حَتَّى جَلَسُوا قَرِيبًا مِنْ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «أَوْسَعُوا لِلشَّيْخِ»، وَعِمْرَانُ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَفِّرُونَ، قَالَ حُصَيْنٌ: مَا هَذَا الَّذِي بَلَّغْنَا عَنْكَ؛ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا، وَتَذْكُرُهُمْ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ حَصِينَةً وَخَيْرًا؟ فَقَالَ: «يَا حُصَيْنُ؛ إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ، يَا حُصَيْنُ؛ كَمْ تَعْبُدُ مِنْ إِلَهٍ؟» قَالَ: سَبْعًا فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: «فَإِذَا أَصَابَكَ الضَّرُّ مَنْ تَدْعُو؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مَنْ تَدْعُو؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ؟ أَرْضَيْتَهُ فِي الشُّكْرِ أَمْ تَخَافُ أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْكَ؟» قَالَ: وَلَا وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ، قَالَ - يَقُولُ حُصَيْنٌ -: وَعَلِمْتُ أَنِّي لَمْ أَكَلِّمْ مِثْلَهُ - لِأَنَّهُ يَأْتِي بِالْحُجَّةِ سَهْلَةً سَرِيعَةً الْفَهْمِ، سَرِيعَةَ الدُّلُوفِ إِلَى الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ -، قَالَ: «يَا حُصَيْنُ، أَسْلِمَ تَسْلَمَ»، قَالَ: إِنَّ لِي قَوْمًا وَعَشِيرَةً، فَمَاذَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اسْتَهْدِيكَ لِأَرْشِدِ أَمْرِي، وَزِدْنِي عِلْمًا يَنْفَعْنِي»، فَقَالَهَا حُصَيْنٌ فَلَمْ يَقُمْ حَتَّى أَسْلَمَ، فَقَامَ إِلَيْهِ عِمْرَانُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَلَمَّا

رَأَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ بَكَى، وَقَالَ: «بَكَيْتُ مِنْ صَنِيعِ عِمْرَانَ، دَخَلَ حُصَيْنٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ عِمْرَانُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ نَاحِيَتَهُ - وَهُوَ أَبُوهُ -، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَضَى حَقَّهُ - فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ - فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ الرَّقَّةُ»، فَلَمَّا أَرَادَ حُصَيْنٌ أَنْ يَخْرُجَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «قَوْمُوا فَشَيِّعُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ»، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ سُدَّةِ الْبَابِ رَأَتْهُ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: صَبَأًا وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ.

لَعَلَّ الَّذِي حَدَا بِالْحُصَيْنِ وَالِدِ عِمْرَانَ أَنْ يُسَلِّمَ بِهِذِهِ السُّرْعَةَ؛ سَلَامَةً فِطْرَتِهِ، وَحُسْنُ اسْتِعْدَادِهِ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَقُوَّةُ حُجَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَسَلَامَةٌ مَنْطِقِهِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى.

نُلاحِظُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَحْدَمَ أُسْلُوبَ الْحَوَارِ مَعَ الْحُصَيْنِ رَضِيَ عَنْهُ؛ لِعَرَسِ مَعَانِي التَّوْحِيدِ فِي نَفْسِهِ، وَنَسْفِ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي كَانَ يَعْتَقِدُهَا.

فَإِنَّهُ يَقُولُ: «كَمْ تَعْبُدُ مِنْ إِلَهٍ؟» قَالَ: سَبْعًا فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، فَتَدَرَّجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَلْقَى مَقَادَةَ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ دَاخِلًا فِي دِينِهِ وَمُتَّبِعًا لِنَبِيِّهِ ﷺ.



مِنْ أَسَالِيبِ قُرَيْشٍ فِي

مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ:

٥- أُسْلُوبُ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ.

وَقَدْ لَجَأَتْ قُرَيْشٌ إِلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ؛ لِتَخْذِيلِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَوْهِينِ قُورَاهُمْ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَرَمَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِالْجُنُونِ، وَوَصَمُوهُ بِالسَّحْرِ، وَالْكَذِبِ، وَقَوْلِ الشَّعْرِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا يَهْزُؤُونَ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ٤٥ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوُا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦].

أَيُّ: كَيْفَ فَهَمُّوا تَوْحِيدَكَ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ جَعَلْتَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا بَزَعِمُهُمْ؟! أَيُّ: إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]؛ أَيُّ: ذَلِكَ مَا تَوَاصَوْا بِهِ مِنْ تَرْكِ مَا بَعَثَكَ بِهِ إِلَيْهِمْ

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٨]؛ أَي: أَخْطَؤُوا الْمَثَلَ الَّذِي ضَرَبُوهُ لَكَ، فَلَا يُصِيبُونَ بِهِ هُدًى، وَلَا يَعْتَدِلُ لَهُمْ فِيهِ قَوْلٌ.

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفُنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٤٩]؛ أَي: قَدْ جِئْتُ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنَبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِنَا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا، وَذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥٠-٥١]؛ أَي: الَّذِي خَلَقَكُمْ مِمَّا تَعْرِفُونَ، فَلَيْسَ خَلْقُكُمْ مِنْ تُرَابٍ بِأَعَزَّ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

سَلَكَ الْمُشْرِكُونَ فِي مُوَاجَهَتِهِمُ لِلدِّينِ الْجَدِيدِ أُسْلُوبَ السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ؛ فَكَانُوا يَقُولُونَ: أَمَا وَجَدَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ مُحَمَّدًا وَفِي قُرَيْشٍ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَعْظَمُ؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

فَكَانُوا لَا يُسَمُّونَهُ بِاسْمِهِ، بَلْ بِالْقَابِ فِيهَا السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ؛ مِثْلَ «مُذَمِّمٍ» وَ «الصَّابِئِ»، وَرَمَوْهُ بِالسَّحْرِ، وَالْكَهَانَةِ، وَالْجُنُونِ، وَالْكَذِبِ؛ وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَا اتَّهَمُوهُ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَوْصَافِ الَّتِي هُمْ أَوَّلُ مَنْ يَعْلَمُ بَرَاءَتَهُ مِنْهَا. كَمَا كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ؛ فَيَقُولُونَ: أَمَا تَبِعَهُ إِلَّا هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِنَا؟ وَيَقُولُونَ لَهُ سُخْرِيَّةً: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ نَتَّبِعَكَ فَاطْرُدْهُمْ عَنْكَ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مَا يُبَيِّنُ بَعْضَ مَشَاهِدِ اسْتِهْزَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ:

- كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي «سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝٣٢ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٣].

- يَقُولُ تَعَالَى عَنْ سُخْرِيَّتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

- وَرَوَى الْبُخَارِيُّ: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِلرَّسُولِ -سَاحِرَةٌ مُّسْتَهْزِئَةٌ-: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قُرْبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣].

- وَرَوَى الْبُخَارِيُّ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ مُسْتَهْزِئًا: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ»؛ فَتَرَلَّتْ: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَٰذِهِ حِجَارَةً أَوْ لَهَبًا فَاهْبِطْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ۝٣٢ وَمَا كَانَتْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۝٣٣ وَمَا كَانَتْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۝٣٣ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٢-٣٤].

- وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَ الْإِرَاشِيِّ الَّذِي ابْتِغَىٰ مِنْهُ أَبُو جَهْلٍ الْإِبِلَ وَمَطَّلَهُ بِأَثْمَانِهَا، وَدَلَالَةَ قُرَيْشٍ إِيَّاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِيُنْصِفَهُ مِنْ أَبِي جَهْلٍ اسْتِهْزَاءً

لِمَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمَا، وَعِنْدَمَا جَاءَ الْإِرَاشِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاكِيًا، مَشَى مَعَهُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ وَأَخَذَ لَهُ بِحَقِّهِ، -وَفِي صِحَّةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ نَظَرٌ- وَعِنْدَمَا سَأَلَتْ قُرَيْشٌ عَنْ صَنِيعِهِ هَذَا، قَالَ: وَيَحْكُمُ!! وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيَّ بِأَبِي وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ؛ مِلْتُ رُعْبًا، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ وَإِنْ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلًا مِنَ الْإِبِلِ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ، وَلَا قَصْرَتِهِ، وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، وَاللَّهِ لَوْ أَبَيْتَ لَأَكَلَنِي.

- وَقَالَ تَعَالَى عَنْ ضَحِكِهِمْ وَعَمَزِهِمْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَنَّغَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ [المطففين: ٢٩-٣١].

- وَثَبَتْ مِنْ طَرُقٍ صَحِيحَةٍ أَنَّ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا يَوْمًا فِي الْحِجْرِ يَتَذَكَّرُونَ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ عَمَزُوهُ بِبَعْضِ الْقَوْلِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ!! أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ»، وَقَدْ فَرَعُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ فَرَعًا عَظِيمًا.

- وَمِنْ مُنْطَلَقِ الْإِسْتِهْزَاءِ وَالِاسْتِعْلَاءِ وَالسُّخْرِيَّةِ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَرْضَى بِمُجَالَسَةِ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ -يَعْنُونَ صُهْبِيًّا وَبِلَالًا وَخَبَّابًا- فَاطْرُدْهُمْ عَنْكَ»، فَهَمَّ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ؛ طَمَعًا فِي إِسْلَامِهِمْ وَإِسْلَامِ قَوْمِهِمْ؛ فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ

حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرْدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾
[الأنعام: ٥٢].

الَّذِي يَعْلَمُ هَذَا، وَمَا وَاجَهُهُ الرَّسُولُ ﷺ - وَهُوَ أَشْرَفُ الْخَلْقِ وَأَحَبُّهُمْ
إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا -، وَكَذَلِكَ مَا نَالَ الصَّحَابَةُ ﷺ - وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْمُرْسَلِينَ -، وَمَا لَقِيَهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَا لَقِيَهِ أَصْحَابُهُ مِنَ الْإِسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ
كَانَ كَثِيرًا جَدًّا.

فَالدَّاعِي إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا مَسَّهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَجْزَعَنَّ؛ فَإِنَّ لَهُ فِي
النَّبِيِّ ﷺ الْأُسْوَةَ، وَفِي أَصْحَابِهِ ﷺ الْقُدْوَةَ، وَقَدْ نَالَهُمْ مَا نَالَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ
كَثِيرٌ كَثِيرٌ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو أَشْرَافَ قُرَيْشٍ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا يَأْلُو جَهْدًا فِي
نُصْحِهِمْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ زُعَمَائِهِمْ وَكِبَرَائِهِمْ، فِيهِمْ: الْوَلِيدُ بْنُ
الْمُغِيرَةِ، وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، يَتَأَلَّفُهُمْ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، إِذْ أَقْبَلَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى ﷺ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيَسْتَقْرِئُهُ
الْقُرْآنَ، فَشَقَّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَضْجَرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ شَغَلَهُ عَمَّا
كَانَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا طَمِعَ فِيهِ مِنْ إِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ خَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ النِّفَاتَةُ إِلَى ذَلِكَ الْمَسْكِينِ يُنْفِرُ عَنْهُ
قُلُوبَ أَوْلِيكَ الزُّعَمَاءِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِينَ؛

فَعَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ وَعَلَيْهِ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١-١٤].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «أَيُّ يَقُولُ لَهُ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، لَمْ أَخْصَصْ بِكَ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ، فَلَا تَمْنَعُهُ مِمَّنِ ابْتِغَاهُ، وَلَا تَتَّصِدِينَ بِهِ لِمَنْ لَا يُرِيدُهُ».

رَوَى الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ: عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعِنْدَهَا رَجُلٌ مَكْفُوفٌ، وَهِيَ تَقْطَعُ لَهُ الْأَتْرَجَ وَتُطْعِمُهُ إِيَّاهُ بِالْعَسَلِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الَّذِي عَاتَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ نَبِيَّهُ ﷺ، قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَعِنْدَهُ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمَا؛ فَنَزَلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿[عبس: ١-٢].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا قَصَدَ النَّبِيُّ ﷺ تَأْلِيفَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، ثِقَةً بِمَا كَانَ فِي قَلْبِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ مِنَ الْإِيمَانِ، كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «إِنِّي لَا أُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةً أَنْ يُكَبِّهَ اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّارِ». الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ تَعَالَى حَبِيبَهُ وَخَلِيلَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ؛ حَتَّى لَا تَنْكَسِرَ قُلُوبُ أَهْلِ الصَّفَةِ، أَوْ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ خَيْرٌ مِنَ الْغَنِيِّ الْكَافِرِ، وَكَانَ النَّظَرُ إِلَى الْمُؤْمِنِ أَوْلَى، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا، أَصْلَحَ وَأَوْلَى مِنَ

الأمير الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء طمعاً في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضاً نوعاً من المصلحة».

هأهنا حديث لا أصل له:

وهو ما اشتهر من أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم رضي عنه، قال له: «أهلاً أو مرحباً بالذي عاتبني فيه ربي».

قال الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة»: «لا أعلم لهذا الحديث أصلاً يمكن الاعتماد عليه».



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com